شَـــرْحُ
قَصِيدَةِ الإِمَامِ الحَدَّادِ

(اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ)

لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ

محمَّد حياة السِّنْدِي الـمَدَني

(ت 1163هـ رَحِمَهُ اللَّهُ)

باعتناء

نزار حمادي


2

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين فهو المعين

الحَمْدُ لِـلَّهِ الَّذِي عَلِمَ الأَشْيَاءَ قَبْلَ وُجُودِهَا وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَراً، وَعَلِمَ حَقَائِقَهَا الَّتِي أَعْطَاهَا إِيَّاهَا بِحِكْمَتِهِ، وَجَعَلَهَا لِأَسْمَائِهِ مَظْهَراً، ثُمَّ أَوْجَدَهَا عَلَى طِبْقِ مَا تَقَدَّمَ، فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَأَحْكَمَهُ أَمْراً.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ مَا لَـمْ يُعْطِ مَلَكاً وَلَا بَشَراً، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَازُوا بِهِ وَمُنِحُوا بِبَرَكَتِهِ فَضْلًا وَفَخْراً.

أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا قَدْرٌ قَلِيلٌ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ مَنْ اسْمُهُ مَذْكُورٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وَمَنْ ظَهَرَ فِيهِ آثَارُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكْ وَاتْرُكْ كُلَّ دُونْ وَاسْأَلْهُ السَّلَامَةَ مِنْ دَارِ الفُتُونْ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ: **(اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكْ)** أَيْ: الْزَمْ يَا أَيُّهَا العَبْدُ الـمَخْلُوقُ بَعْدَ العَدَمِ بَابَ رَبِّكَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ

مَا لَا يُحْصَى مِنَ النِّعَمِ، وَصَرَفَ عَنْكَ مَا لَا يُحْصَرُ مِنَ النِّقَمِ، وَقَدْ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات: ٥٦]، وَأَمَرَكَ بِهَا كَمَا قَالَ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وَلُزُومُ بَابِهِ تَعَالَى: لُزُومُ عِبَادَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَ مُحَمَّداً ﷺ لِيَدْعُو إِلَيْهَا وَيُبَيِّنَهَا، وَهَذَا البَابُ هُوَ الَّذِي فَتَحَهُ لِـحَبِيبِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ الخَلْقَ إِلَيْهِ وَيُرَغِّبَهُمْ فِي الدُّخُولِ مِنْهُ، وَسَدَّ بَقِيَّةَ الأَبْوَابِ.

ثُمَّ العِبَادَةُ الَّتِي «البَابُ» عِبَارَةٌ عَنْهَا: ظَاهِرِيَّةٌ، وَبَاطِنِيَّةٌ:

فَأَمَّا البَاطِنِيَّةُ: فَاعْتِقَادُ أَنَّ الـلَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَأَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِكُلِّ وَصْفٍ يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى، وَكُلَّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ فَهُوَ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ صِدْقٌ لَا رَيْبَ فِيهِ أَبَداً، وَمَحَبَّتُهُ تَعَالَى وَمَعْرِفَةُ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَتَحْلِيَةُ البَاطِنِ بِكُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَتَخْلِيَتُهُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ لَئِيمٍ.

وَيُعْرَفُ ذَلِكَ مِنَ القُرْآنِ وَالأَحَادِيثِ وَالفِقْهِ وَكَلَامِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ كَصَاحِبِ «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» وَصَاحِبِ «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» وَأَمْثَالِـهِمَا.

ـ وَأَمَّا الظَّاهِرِيَّةُ فَاسْتِعْمَالُ كُلِّ عُضْوٍ فِيمَا فُرِضَ عَلَيْهِ أَوْ نُدِبَ مِنْهُ، وَحِفْظُهُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي صُدُورُهُ مِنْهُ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ الـمَأْمُورَاتِ وَالـمَنْدُوبَاتِ وَالـمَنْهِيَّاتِ وَالـمَكْرُوهَاتِ.

ثُمَّ النَّاسُ فِي لُزُومِ البَابِ ثَلَاثَةُ طَوَائِفَ:

ـ طَائِفَةٌ تُؤَدِّي حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ، مَعَ مُشَاهَدَتِهَا إِيَّاهُـمَا، وَحَقِيقَةُ هَذَا الأَدَاءِ: صَرْفُ الـمُكَلَّفِ البَدَنَ ـ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ ـ فِيمَا يُرْضِي الـمَوْلَى، وَكَفُّهُ عَمَّا يَكْرَهُهُ، مَعَ عِلْمِهِ وَقْتَ الأَدَاءِ دَائِماً أَوْ غَالِباً ـ بَلْ فِي عُمُومِ الأَوْقَاتِ ـ رُبُوبِيَّةَ الرَّبِّ وَعُبُودِيَّةَ نَفْسِهِ عُبُودِيَّةً مُطْلَقَةً جَامِعَةً لِأَنْوَاعٍ شَتَّى، فَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الصَّلَاةُ يُؤَدِّيهَا عَلَى أَكْمَلِ أَحْوَالِـهَا، وَكَذَا الصَّوْمُ وَالحَجُّ وَالزَّكَاةُ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الجِهَادُ يُجَاهِدُ فِي الـلَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الذِّكْرُ ذَكَرَ الـلَّهَ بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الأَمْرُ بِالـمَعْرُوفِ قَامَ لِـلَّهِ، وَأَمَرَ مَنْ قَصَّرَ فِي حَقِّهِ، لَا يَخَافُ فِي الـلَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ النَّهْيُ عَنِ الـمُنْكَرِ قَامَ لِرَبِّهِ وَنَهَى عَنْهُ، وَلَا يُرَاعِي أَحَداً، وَلَا يُدَاهِنُ كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الاخْتِلَاطُ يُخَالِطُ مَعَ عِبَادِ الـلَّهِ بِالنَّصِيحَةِ وَالإِرْشَادِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَقِسْ عَلَى هَذَا بَقِيَّةَ الأُمُورِ.

وَهَذِهِ العُبُودِيَّةُ الـمُطْلَقَةُ الجَامِعَةُ: عُبُودِيَّةُ الأَنْبِيَاءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ وَمَنْ نَابَ مَنَابَهُمْ مِنَ الأَوْلِيَاءِ.

ـ وَطَائِفَةٌ مَقْصُودُهَا مُشَاهَدَةُ مَنْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ، وَالذُّهُولُ عَمَّا سِوَاهُ، حَتَّى عَنِ النَّفْسِ، بَلْ عَنْ شُعُورِهَا بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ[1]، وَيُعَبِّرُونَ عَنْ هَذَا بِالفَنَاءِ فِي الـلَّهِ، وَهُوَ الـمَقْصُودُ الأَعْظَمُ عِنْدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ[2].

ـ وَطَائِفَةٌ مَقْصُودُهَا اسْتِعْمَالُ الأَبْدَانِ فِي مَرْضَاةِ الرَّحْمَنِ بِأَدَاءِ الوَظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ مَعَ الإِخْلَاصِ لِـلَّهِ وَإِنْ فَاتَ وَقْتُ تَحْصِيلِهَا، مَعَ مُشَاهَدَةِ الرَّبِّ وَحُضُورِهِ فِي القَلْبِ.

---

(1) وذلك لاستغراقهم في مشاهدة من له الربوبية سبحانه وتعالى، ولما كانوا لا يستطيعون الجمع بين أنواع الشهود ـ كما هو حال الأنبياء الكُمَّل عليهم الصلاة والسلام ـ ذهلوا عن الشعور بالربوبية والعبودية لاستغراقهم في مشاهدة الذات العلية.

وهذه وحدة الشهود كما نبه على ذلك المؤلف في رسالة له قال فيها: العارف إذا غرق في بحر العرفان لا يشاهد غير الرحمن، ولا يشاهد إلا موجوداً واحدا أزليا أبديّا، فهذه وحده الشهود، ثم ليست بمقصودة عظيمة عند أهل الكمال؛ لأن الكامل: من يشاهد الحق حقا والخلق خلقا ويرى بينهما فرقاً ويعطي كل ذي حق حقه. (من رسالة مخطوطة فيها جواب على سؤال ورد عن الشيخ محيي الدين عربي)

(2) قال العلامة السندي في شرحه على الحكم العطائية: الوصول إلى الغيبة عما سوى المذكور أعلى ما يقصده المتصوفة، ومقام الأنبياء عليهم السلام أفضل من هذا وأجلّ وهو أن شهودهم الكامل لا يمنعهم عن إدراكهم الخلق، فيدركون الحَقَّ حقًّا والخَلْقَ خَلْقًا، ويوفون لكل ذي حقٍّ حقَّه.

وَاخْتُلِفَ فِي هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، فَكَلَامُ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ مَائِلٌ إِلَى تَرْجِيحِ الأُولَى، وَكَلَامُ بَعْضِ الـمُحَقِّقِينَ مَائِلٌ إِلَى تَرْجِيحِ الثَّانِيَةِ إِذَا كَانَتْ مُخْلِصَةً فِي أَدَاءِ الوَظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ ﷺ: «**فَضْلُ العَالِـمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»[1].

(وَاتْـرُكْ كُلَّ دُونْ) أَيْ: اتْرُكْ كُلَّ مَا سِوَاهُ تَعَالَى فَلَا تَعْتَمِدْ عَلَيْهِ وَلَا تَشْتَغِلْ بِهِ عَنْ رَبِّكَ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ الاعْتِمَادُ عَلَى مَا هُوَ مُحْتَاجٌ فِي وُجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَإِصْلَاحِهِ إِلَى غَيْرِهِ، لَا يَمْلِكُ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، بَلْ لَا يَنْبَغِي الاعْتِمَادُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الأَرْبَابِ، لَا الأَسْبَابِ، وَلَا يَنْبَغِي الاشْتِغَالُ إِلَّا بِمَنِ الاشْتِغَالُ بِهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ وَالإِعْرَاضُ عَنْهُ عَلَامَةُ شَقَاوَةِ الكَوْنَيْنِ.

عَجَباً لِـمَنْ يَعْتَمِدُ عَلَى مَا لَا يَنْفَعُهُ ـ لَوْ نَفَعَهُ ـ إِلَّا بِإِرَادَةِ الرَّبِّ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَنْ بِيَدِهِ الأُمُورُ كُلِّهَا!

عَجَباً لِـمَنْ يَشْتَغِلُ بِمَا الاشْتِغَالُ بِهِ عَبَثٌ وَلَغْوٌ، وَيَتْرُكُ الاشْتِغَالَ بِمَنِ الاشْتِغَالُ بِهِ سَعَادَةٌ! مَا هَذَا الحِجَاب؟!

---

(1) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة.

مَا حَجَبَ عَنْ رَبِّ الأَرْبَابِ إِلَّا مُشَاهَدَةُ الأَسْبَابِ وَعَدَمِ صُدُورِهَا عَنِ الوَهَّابِ، فَمَنْ شَاهَدَ صُدُورَهَا عَنْهُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَلَا يَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ رَبِّهَا وَإِنْ كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهَا الَّذِي جَعَلَ فِي رَبْطِ الـمُسَبَّبَاتِ بِهَا حِكَماً لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ.

فَالكَامِلُ: مَنْ يُبَاشِرُهَا مَعَ مُرَاعَاةِ حُدُودِ الشَّرْعِ فِيهَا، وَيَعْرِفُ صُدُورَهَا مِنْ بَارِئِهَا، وَيُكْشَفُ لَهُ عَمَّا هُوَ مَكْنُونٌ فِيهَا مِنَ الأَسْرَارِ الإِلَـهِيَّةِ وَالحِكَمِ الرَّبَّانِيَّةِ.

وَتَارِكُهَا ـ مَعَ صِدْقِ تَوَكُّلِهِ عَلَى خَالِقِهَا ـ قَاصِرٌ مُعَطِّلٌ.

وَمُبَاشِرُهَا مَعَ نَظَرِهِ إِلَيْهَا وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهَا وَذُهُولِهِ عَنْ مُوجِدِهَا مُحْتَمِلُ الدُّخُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وَفِي كُتُبِ الـلَّهِ الـمُنَزَّلَةِ وَأَحْوَالِ الطَّائِفَةِ الـمُرْسَلَةِ دَلَائِلُ عَلَى مَا فَصَّلْنَاهُ، وَتَحْتَ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الأَنْوَاعِ أَفْرَادٌ مُخْتَلِفَةُ الأَحْوَالِ.

(وَاسْأَلْهُ السَّلاَمَةَ مِنْ دَارِ الفُتُونِ) أَيْ: اسْأَلِ الـلَّهَ ـ الَّذِي بِيَدِهِ الأُمُورُ كُلُّهَا ـ السَّلَامَةَ وَالنَّجَاةَ مِنْ شَرِّ دَارِ الفِتَنِ.

وَالفُتُونُ مَصْدَرُ فِتْنَة، وَالفِتْنَةُ لَـهَا مَعَانٍ، مَنِهَا الضَّلَالُ، وَالإِثْمُ، وَالكُفْرُ، وَالفَضِيحَةُ، وَالعَذَابُ، وَالإِضْلَالُ، وَالـمِحْنَةُ، وَالأَمْوَالُ وَالأَوْلَادُ، وَاخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الآرَاءِ.

وَهَذِهِ الدَّارُ مَـمْلُوءَةٌ مِنْ هَذِهِ، وَهِيَ الَّتِي ذَمَّهَا بَارِيهَا وَحَقَّرَ أَمْرَهَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: ﴿**وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ** ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]، وَزَهَّدَ فِيهَا بِبيَانِ خِسَّتِهَا وَحَقَارَتِهَا وَفَنَائِهَا وَبُغْضِهِ إِيَّاهَا، وَهِيَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ الـلَّهِ ﷺ فِيهَا: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ وَمَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ الـلَّهِ وَمَا وَالَاهُ**»[1]، وَقَالَ فِيهَا: «**إِنَّهَا أَهْوَنُ عَلَى بَارِئِهَا مِنَ الـمَيْتَةِ**»[2]، وَقَالَ فِيهَا: «**إِنَّهَا لَا تَعْدِلُ**

---

(1) حديث حسن أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا.

(2) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفته، فمر بجَدْيٍ أَسَكَّ ميِّتٍ، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم ؟**» قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**». وَالأَسَكُّ: مبتور الأذنين أو صغيرهما.

عِنْدَهُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»[1]، وَقَبَّحَ أَمْرَهَا أَشَدَّ التَّقْبِيحِ، وَنَفَّرَ عَنْهَا أَشَدَّ التَّنْفِيرِ.

وَلِأَجْلِ مَا تَقَدَّمَ جعَلَهَا بَارِئُهَا جَنَّةً لِأَعْدَائِهِ وَسِجْناً لِأَحِبَّائِهِ[2] كَصَفِيِّهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَصَّرَ فِي أَمْرِهِ بِتَقْدِيرِهِ.

وَمِنْ فِتَنِهَا تَرْكُ بَابِ الـمَوْلَى وَالاشْتِغَالُ بِغَيْرِهِ، وَمِنْهَا الابْتِلَاءُ بِالخَطَايَا الـمُبْعِدَةِ عَنْ كَرَمِ الرَّبِّ وَرَحْمَتِهِ، وَمِنْهَا البَلَايَا الـمُدْهِشَةِ وَالدَّوَاهِي الـهَائِلَةِ الَّتِي لَا يَكَادُ يَثْبُتُ مَعَهَا قَدَمُ السَّالِكِ عَلَى جَادَّةِ الصِّرَاطِ الـمُسْتَقِيمِ، وَمِنْهَا تَسْلِيطُ النُّفُوسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَالشَّيَاطِينِ.

وَلَا يُمْكِنُ الخَلَاصُ مِنْهَا إِلَّا بِإِعَانَةِ الـلَّهِ الَّذِي ابْتَلَى عَبِيدَهُ بِهَا، فَيَنْبَغِي الرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي الحِفْظِ عَنْ شُرُورِهَا، وَمَدُّ أَكُفِّ التَّضَرُّعِ إِلَيْهِ لِلنَّجَاةِ مِنْ دَوَاهِيهَا، وَقَطْعُ النَّظَرِ عَمَّا عَدَاهُ وَعَدَمُ الـمُبَالَاةِ بِهَا

(1) يشير إلى الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**».

(2) وقد أخبر النبي ﷺ بذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، فقال ﷺ: «**الدُّنْيا سِجْنُ المؤمن، وجَنَّةُ الكافِر**»

وَبِبَلَايَاهَا؛ لِأَنَّهَا مَا أَبْرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُقْتَضَى حَقِيقَتِهَا وَخَاصَّةِ ذَاتِهَا[1].

لاَيَضِيقُ صَدْرُكَ فَالـحَادِثُ يَهُـونْ   الـلَّهُ الـمُـقَـدِّرُ وَالعَـالَـمُ شُـئُونْ

(**لاَيَضِيقُ صَدْرُكَ فَالـحَادِثُ يَهُونُ**[2]) أَيْ: لَا يَضِقْ قَلْبُكَ عِنْدَ وُرُودِ شَدَائِدِهَا وَبَلَايَاهَا وَدَوَاهِيهَا عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الحَادِثَ الَّذِي

---

(1) قال المؤلف في شرح الحكم: (**لا تَسْتَغْرِبْ وُقوعَ الأَكْدارِ**) الحاجبة عن الأنوار والأسرار (**ما دُمْتَ في هذهِ الدّارِ**) التي هي دار الفِتَن والمِحَن والأحزان والبلايا والدواهي التي قلَّما يتصفى للسالك فيها سلوكُه عن الأكدار، خُلِقَتْ سِجْنًا للصفيِّ آدم الذي صدَرَ منه ما صدر بحكمته، ومَظْهَرًا لعلامات شقاوة أهل الشقاوة، فالأقذار والأكدار والأوزار لوازمها، وما يوجد من أكدار الآخرة فهو مرتَّبٌ على ما فعل فيها، ولا تعدل عند بارئها جناح بعوضة، ولم ينظر إليها نظر فضل منذ خلقها. (**فإنَّها ما أَبْرَزَتْ**) شيئا (**إلّا ما هُوَ مُسْتَحَقُّ وَصْفِها وَواجِبُ**) لازم (**نَعْتِها**) ولا يتأتى منها غير ما أتى منها، كلٌّ مُسهَّلٌ لما خُلِقَ له، فهوِّن أمْرَ حوادثها عليك، ولا تبال بسهام دواهيها التي ترميها إليك، ولا تتعجب من أقدارها مع أقذارها.

(2) وفي معنى هذه الكلمات أخرج البيهقي في الباب الثالث عشر من شعب الإيمان أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود : «**لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ، مَا يُقَدَّرُ يَكُنْ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِكَ**». ثم نقل البيهقي عن الإمام أحمد قوله: «وَهُوَ إِنْ صَحَّ فَلَيْسَ فِيهِ الـمَنْعُ مِنَ الطَّلَبِ، وَإِنَّمَا فِيهِ الـمَنْعُ مِنَ الـهَمِّ، وَذَلِكَ عَمَلُ أَهْلِ الحِرْصِ الشَّدِيدِ، لَا يَزَالُ أَحدُهمْ مَعَ جَدِّهِ وَاجتِهَادِه مهمُوماً قَلِقاً يَخْشَى أن يَضيعَ ما عِنْدَه وَلا يَأْتِيهِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، وذلِكَ خلَافُ التوَكُّلِ». وهو نفيس، وعليه ينبه المؤلف.

يَحْدُثُ فِيهَا يَهُونُ؛ لِأَنَّهُ قَلِيلُ البَقَاءِ سَرِيعُ الفَنَاءِ، وَ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٦].

أَوْ: لَا يَضِقْ صَدْرُكَ أَيَّهَا العَارِفُ مَحَلَّ صُدُورِ الحَوَادِثِ؛ فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ صُدُورَ الحَادِثِ مِنْ إِلَـٰهٍ حَكِيمٍ وَرَبٍّ لَطِيفٍ يَهُونُ عَلَيْهِ الأَمْرُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى الكَوَائِنَ كُلَّهَا صَادِرَةً مِنْ مَحْبُوبِهِ، مَوْصُوفَةً بِالعَدْلِ، وَمُشْتَمِلَةً عَلَى الحِكَمِ الدَّالَّةِ عَلَى الفَضْلِ، وَيَزْدَادُ بِهَا مَعْرِفَةً إِلَى مَعْرِفَةٍ، وَسُرُوراً إِلَى سُرُورٍ.

وَلِذَا العَالِـمُ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ وَمَصَادِرِهَا وَاشْتِمَالِـهَا عَلَى مَا لَا يُحْصَى مِنَ الأَسْرَارِ مُسْتَرِيحٌ مُسْتَزِيدٌ، وَالجَاهِلُ بِهَا مُعَذَّبٌ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ.

(اللَّهُ الـمُقَدِّرُ، وَالعَالَـمُ شُئُونْ) كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَـمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ، وَقَدْ أَعْطَى بِحِكْمَتِهِ كُلَّ مَاهِيَّةٍ مِنَ الـمَاهِيَّاتِ اسْتِعْدَاداً لِـمَا يُفِيضُ عَلَيْهَا مِنْ مَظَاهِرِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَعَلِمَهَا كَذَلِكَ، وَأَرَادَ فِيهَا ذَلِكَ، وَقَدَّرَ لَـهَا مَقَادِيرَ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ.

وَكَانَتِ الـمَاهِيَّاتُ مُفْتَقِرَةً قَبْلَ وُجُودِهَا إِلَى أَنْ يُفَاضَ عَلَيْهَا مَا هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ

ٱلْفُقَـرَآءُ ﴾[محمد: ٣٨]، فَإِنَّ غِنَاهُ ـ تَعَالَى ـ عَمَّا عَدَاهُ أَبَدِيٌّ، وَافْتِقَارُه إِلَيْهِ تَعَالَى دَائِمِيٌّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، ثُمَّ أَوْجَدَهَا عَلَى طِبْقِ مَا سَبَقَ[1].

فَالعَالَـمُ بِأَسْرِهِ مَظَاهِرُ وَصْفِهِ الأَسْنَى وَأَسْمَائِهِ الحُسْنَى، فَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَمَّا أَشَرْنَا إِلَيْهِ يَكُونُ العَالَـمُ بُسْتَانَ عِرْفَانِهِ، يَجْتَنِي مِنْهُ ثَمَرَاتِ عِرْفَانِهِ، وَيَزْدَادُ بِمَعْرِفَتِهِ مَعْرِفَةُ مُوجِدِهِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَقْصُودِهِ، وَيَعْرِفَ حَقِيقَةَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الـمُحَقِّقُ فِي قَوْلِهِ: «اللَّهُ الـمُقَدِّرُ وَالعَالَـمُ شُؤُونٌ»، وَلَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الحَوَادِثِ.

(لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ)

أَيْ: لَا تُكْثِرْ هَـمَّكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ مُرَادَاتِكَ لَوْ أَصَابَكَ مِـمَّا تَكْرَهُهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ العَزِيزِ العَلِيمِ الحَكِيمِ، وَمَا قَدَّرَهُ وَعَلِمَهُ لَابُدَّ أَنْ يُوجِدَهُ؛ لِئَلَّا يَنْقَلِبَ عِلْمُهُ جَهْلًا، وَمَا لَـمْ يُقَدِّرْهُ وَلَـمْ يَعْلَمْ وُجُودَهُ لَا يُوجَدُ قَطُّ.

---

(1) ذكر العلامة المؤلف كلاما قريبا من هذا في شرحه على الحكم العطائية فقال: كان الله تعالى موجودًا ولم يكن معه موجود غيره، وكانت ماهيات المخلوقات معلومةً عنده بعِلْمِه القديم، فتجلَّى لها لإظهار آثار صفاته، فاكتسبت هذا الوجود منه، ودلَّت عليه دلالة الشمس على النهار، وأعلَمَ كلاً أنه خالِقه فعرفه، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فافهم إن كنت من أهل الأسرار.

مَا أَصَابَكَ لَـمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَـمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، فَالـهَمُّ عَبَثٌ وَلَغْوٌ مُنَافٍ لِاسْتِسْلَامِ ذِي العُبُودِيَّةِ الصِّرْفَةِ لِـمَنْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ الـمُطْلَقَةُ.

وَمَا لِلْعَبِيدِ أَنْ لَا يَرْضَوْا بِتَصَرُّفِ الـمَلِكِ الـمَجِيدِ؟! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ قَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي هُوَ خَلِيفَتُهُ فِي أَرْضِهِ فَكَيْفَ شَأْنُ قَضَاءِ رَبِّ العَالَـمِينَ الَّذِي فَعَلَ فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاءُ؛ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فَتَنَبَّهْ مِنْ سِنَةِ الغَفْلَةِ إِنْ كُنْتَ ذَا فِطْنَةٍ.

وَلَا يَفْهَمُ سِرَّ هَذِهِ الحِكَايَةِ إِلَّا مَنْ كُشِفَ عَنْ قَلْبِهِ الحِجَابُ، وَتَجَلَّى لَهُ تَصَرُّفُ رَبِّ الأَرْبَابِ فِي الـمُسَبَّبَاتِ وَالأَسْبَابِ، مَعَ مُرَاعَاةِ كَمَالِ الحِكْمَةِ وَالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ، وَأَنَّى لِلْمَحْجُوبِ مَعْرِفَةُ هَذَا الـمَطْلُوبِ؟!

فِكْرُكَ وَاخْتِيَارُكَ دَعْهُمَا وَرَاكْ   وَالتَّدْبِيرَ أَيْضاً وَاشْهَدْ مَنْ يَرَاكْ

(فِكْرك وَاخْتِيَارك دَعْهُمَا وَرَاكْ) أَيْ: اتْرُكْ فِكْرَكَ الفَاتِرَ وَاخْتِيَارَكَ العَبَثَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، فَلَا تَنْظُرْ إِلَيْهِمَا، وَاجْعَلْهُمَا نَسْياً مَنْسِيّاً.

(وَالتَّدْبِيرَ أَيْضاً وَاشْهَدْ مَنْ يَرَاكْ) أَيْ: اتْرُكِ التَّدْبِيرَ فِي تَحْصِيلِ مُرَادَاتِكَ وَدَفْعِ مَضَرَّاتِكَ أَيْضاً، فَإِنَّ ذَلِكَ عَبَثٌ وَلَغْوٌ، بَلْ مُنَازَعَةٌ مَعَ مَنْ هُوَ الـمُنْفَرِدُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَلَوِ اجْتَمَعَتِ الخَلَائِقُ كُلُّهَا عَلَى أَنْ يَفْعَلُوا مَا لَـمْ يُرِدِ الـلَّهُ تَعَالَى لَـمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ أَبَداً، أَوْ عَلَى أَنْ يَدْفَعُوا مَا شَاءَهُ مَا قَدَرُوا قَطُّ، فَمَا هَذَا الاشْتِغَالُ العَبَثُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ قَطُّ؟! بَلْ فِيهِ تَضْيِيعُ العُمْرِ ـ الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَالِ العَبْدِ ـ فِيمَا لَا يَعْنِي، وَمُنَازَعَةٌ مَعَ مَنْ لَا يَنْبَغِي الـمُنَازَعَةُ مَعَهُ.

وَإِنَّمَا يُسَلِّمُ أَمْرَهُ تَسْلِيماً، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى مَوْلَاهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً بِمُنَاهُ، وَمَنْ لَـمْ يَعْتَمِدْ عَلَيْهِ وَعَارَضَهُ فِي مُرَادِهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً.

وَأَنَّى لِلْعَبْدِ الذَّلِيلِ العَاجِزِ الـمَخْلُوقِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِكْرٌ أَوِ اخْتِيَارٌ أَوْ تَدْبِيرٌ مَعَ رَبِّهِ الجَلِيلِ القَادِرِ القَهَّارِ؟! فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ جَهْلِهِ بِرَبِّهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ رَبَّكَ الَّذِي أَوْجَدَكَ وَلَـمْ تَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً، شَاهِدٌ عَلَيْكَ، حَاضِرٌ لَدَيْكَ، مُدَبِّرٌ لِأُمُورِكَ، كَافٍ لِـحَوَائِجِكَ؛ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[الزمر: ٣٦]، بَلَى إِنَّهُ كَافٍ، إِلَّا أَنَّ العَبْدَ لِـجَهْلِهِ بِرَبِّهِ يَتِيهُ فِي أَقْفَارِ الأَسْبَابِ، مَحْجُوباً عَنْ رَبِّ الأَرْبَابِ، فَلَوْ شَاهَدَهُ لَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق: ٣].

مَـوْلاَكَ الـمُهَيْمِنُ إِنَّـهُ يَـرَاكْ فَـوِّضْ لَـهُ أُمُـورَكَ وَأَحْـسِنْ فِي

(مَوْلاَكَ الـمُهَيْمِنُ إِنَّهُ يَرَاك) أَيْ: الَّذِي أَوْجَدَكَ مِنَ العَدَمِ هُوَ مَوْلَاكَ الـمُرَاقِبُ عَلَيْكَ؛ إِذْ يَرَى ظَاهِرَكَ وَبَاطِنَكَ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِكَ؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ يَكُونُ كَافِياً لِـمَا أَوْجَدَهُ مِنَ العَدَمِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ سَوَابِغَ النِّعَمِ، وَحَفِظَهُ مِنْ أَنْوَاعِ النِّقَمِ، أَلَا يَسْتَحْيِي العَبْدُ القَاصِرُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اخْتِيَارٌ مَعَ سَيِّدِهِ القَهَّارِ القَادِرِ؟! فَتَالـلَّهِ لَوْ شَاهَدَهُ لَسَلَّمَ لَهُ أَمْرَهُ.

(فَوِّضْ لُه أُمُورَك وأَحْسِنْ فِي الظُّنُون) أَيْ: فَوِّضْ أُمُورَكَ كُلَّهَا إِلَى مَوْلَاكَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِالوُجُودِ فإنها كلها بيده، هو

مصدرها، وإليه مرجعها، وليس لغيره منها شيء، هل مع الله شريك آخر؟! فمن فوض أمره لمولاه استراح عما عداه.

وَكُنْ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي قَضَاءِ حَوَائِجِكَ، فَإِنَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الكَرِيمُ الجَوَادُ الوَهَّابُ، يُجِيبُ دَعْوَةَ الـمُضْطَرِّينَ وَيَقْضِي حَوَائِجَ الـمُحْتَاجِينَ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ؟!

وَمَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَى هَذَا الرَّبِّ اللَّطِيفِ، وَلَمْ يُفَوِّضْ أَمْرَهُ إِلَى هَذَا الكَفِيلِ، وَلَمْ يُحَسِّنِ الظَّنَّ بِهَذَا الغَنِيِّ الأَرْحَمِ، فَهُوَ مِنَ الهَالِكِينَ؛ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣].

وَكَيْفَ لَا يُتَوَكَّلُ عَلَى مَنْ بِيَدِهِ الأُمُورُ كُلُّهَا، وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ كُلِّ كَرِيمٍ؟! فَلَوْ شَاهَدَ الـمَحْجُوبُونَ لُطْفَ اللَّطِيفِ بِخَلْقِهِ الضَّعِيفِ لَـمَا اعْتَمَدُوا إِلَّا عَلَيْهِ وَلَمْ يَلْتَجِئُوا إِلَّا إِلَيْهِ.

(لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ)

فَإِنَّهُ لَا مَرَدَّ لِـمَا قَدَّرَ وَقَضَى، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُقَابَلَ مَقْدُورُهُ بِأَعْظَمِ الرِّضَى، وَكَيْفَ لَا وَمُقَدِّرُهُ هُوَ الحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَصَنَائِعِهِ،

لَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ؟! وَلَا يَعْرِفُ سِرَّ هَذَا إِلَّا مَنْ شُرِحَ صَدْرُهُ بِالإِيمَانِ.

«لَوْ» وَ«لِمَ» وَ«كَيفْ» قَوْلُ ذِي يَعْتَرِضْ عَلَى اللَّهِ الذِى خَلَقْ
وَقَضَى وَقَدَّرَ كُلَّ شَيءٍ بِحَقٍّ يَا قَلْبِي تَنَبَّهْ وَاتْرُكِ الـمجُونْ

(«لَوْ» وَ«لِم» وَ«كَيفَ» قَوْلُ ذِي الـحُمْقِ) أَيْ: التَّلَفُّظُ بِـ«لَوْ» عِنْدَ فَوَاتِ شَيْءٍ مَحْبُوبٍ، بِأَنْ تَقُولَ: «لَوْ فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا»، وَبِـ«لِمَ» عِنْدَ وُصُولِ مَكْرُوهٍ، بِأَنْ تَقُولَ: «لِمَ أَصَابَنِي هَذَا»، وَبِـ«كَيْفَ» عِنْدَ التَّحَيُّرِ وَالتَّأَسُّفِ، بِأَنْ تَقُولَ: «كَيْفَ فَاتَنِي هَذَا الـمُرَادُ وَأَصَابَنِي هَذَا الـمَكْرُوهُ»، فَهُوَ قَوْلُ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ الَّذِي هُوَ عَلِيمٌ بِخِلْقَتِهِ، حَكِيمٌ فِي صُنْعَتِهِ، لَا يُسْأَلُ عَنْ إِنْفَاذِ مَشِيئَتِهِ.

(يعْتَرِض عَلَى اللَّهِ الذِى خَلَقَ، وَقَضَى وَقَدَّرَ كُلَّ شَيءٍ بِحَقٍّ) أَيْ: لَازِمُ قَوْلِهِ ذَلِكَ الَّذِي صَدَرَ مِنْ حَمَاقَتِهِ الاعْتِرَاضُ عَلَى اللَّهِ الحَكِيمِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَضَى كُلَّ شَيْءٍ، وَقَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ مُلْتَبِساً بِحَقٍّ وَحِكْمَةٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الحَكِيمَ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الحَادِثَ إِمَّا العَطَايَا وَإِمَّا البَلَايَا، وَإِمَّا الطَّاعَاتِ وَإِمَّا

الخَطَايَا، وَإِمَّا الـمَحْبُوبَاتِ وَإِمَّا الـمَكْرُوهَاتِ، وَإِمَّا أَمْثَالُـهَا، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ حِكَمٌ بَاهِرَةٌ وَأَسْرَارٌ ظَاهِرَةٌ؛ لِأَنَّ العَطَايَا مَظْهَرُ جَمَالِهِ وَمُوجِبَاتُ مَحَبَّتِهِ تَعَالَى، وَالبَلَايَا مَظْهَرُ جَلَالِهِ وَمُعَرِّفَاتُ قَهْرِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَمُطَهِّرَةٌ مِنْ أَوْسَاخِ الذُّنُوبِ، وَمُنَفِّرَةٌ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَمُلْجِئَةٌ إِلَى التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ لَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ.

وَالطَّاعَاتُ مَظْهَرُ رَحْمَتِهِ وَمُوجِبَاتُ قُرْبِهِ، وَالخَطَايَا مَظْهَرُ قَهْرِهِ، وَكَمْ مِنْ خَطِيئَةٍ أَوْجَبَتْ مِنَ الكَرَامَةِ مَا لَـمْ تُوجِبْهُ الطَّاعَةُ إِذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهَا النَّدَامَةُ وَالتَّوْبَةُ وَالانْكِسَارُ[1].

وَالـمَحْبُوبَاتُ مَظَاهِرُ فَضْلِهِ، وَبِهَا يَتَحَبَّبُ إِلَى عِبَادِهِ، وَالـمَكْرُوهَاتُ مَظْهَرُ عَدْلِهِ، وَبِهَا يُخَوِّفُ عِبَادَهُ مِنْ قَهْرِهِ وَغَضَبِهِ، وَهَذَا تَلْوِيحٌ إِلَى مَا لَا يُعَدُّ مِنَ الحِكَمِ.

فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَأَظْهَرَ بُرْهَانَهُ، فَلَوْ أَدَارَ العَاقِلُ جَوَاسِيسَ فِكْرِهِ فِي الَّذِي أَوْدَعَ الـلَّهُ مِنَ الحِكَمِ فِي خَلْقِهِ لَعَرَفَ أَنَّ

---

(1) قال العلامة المؤلف في شرح الحكم العطائية: (**وَقَضى عَلَيْكَ بِالذَّنْبِ**) وابتلاك به (**فَكانَ سَبَبًا في الوُصولِ**) بأن أيقظك عند ارتكابه، وألهمك قُبْحَه وسوءَ مآله، وحقّر به إليك نفسَك، وكسر قوة أنانيتك بالابتلاء به، ووفقك للتوبة عنه، وجعلك من أوليائه، فإن الله يحب التوابين، فلا تيأس من فضله عند الابتلاء بالذنب.

هَذَا النِّظَامَ هُوَ النِّظَامُ الأَحْسَنُ، لَا يُصَوِّرُ العَقْلُ أَجْمَلَ وَلَا أَكْمَلَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً.

وَاعْلَمْ أَنَّ صُدُورَ الحَوَادِثِ مِنْ مُحْدِثِهَا مَرْبُوطٌ بِالحِكَمِ البَالِغَةِ، وَلَا يَنْجَلِي هَذَا الأَمْرُ الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ إِلَّا لِمَنْ طَهَّرَ قَلْبَهُ عَنِ الحَوَاجِبِ، وَانْكَشَفَ لَهُ تَصَرُّفُ ذِي المَوَاهِبِ.

وَأَنَّى لِلْعَبْدِ الجَاهِلِ الذَّلِيلِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى اللَّهِ الحَكِيمِ الجَلِيلِ؟! وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنِ احْتِجَابِهِ عَنْ رَبِّهِ.

(يَاقَلْبِي تَنَبَّهْ وَاتْرُكِ المجُونْ) أَيْ: يَا قَلْبِي كُنْ مُتْنَبِهاً عَنْ هَذِهِ الغَفْلَةِ القَبِيحَةِ الَّتِي تُوجِبُ الاعْتِرَاضَ عَلَى رَبِّ الأَرْبَابِ، وَاتْرُكِ المُجُونَ، وَهُوَ مَصْدَرُ مَجَنَ مُجُوناً، وَالمَاجِنُ: مَنْ لَا يُبَالِي قَوْلًا وَفِعْلًا[1].

أَيْ: اتْرُكْ فِعْلَ الجَاهِلِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ، فَلِذَا يَقُولُ مَا يَقُولُ مِنَ الأَقْوَالِ الدَّالَّةِ عَلَى سَفَاهَتِهِ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ مِنَ الأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَى حَمَاقَتِهِ.

---

(1) وفي لسان العرب (مجن): المجون: أَن لا يبالي الإِنسانُ بما صنع. قال ابن سيده: الماجِنُ من الرجال الذي لا يبالي بما قال ولا ما قيل له كأَنه من غلظ الوجه والصلابة.

وَاللَّازِمُ عَلَى العَبْدِ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ العُبُودِيَّةِ وَحَقَّ ذِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَا يَفْعَلَ إِلَّا مَا يَلِيقُ لِصَاحِبِ العُبُودِيَّةِ أَنْ يَفْعَلَهُ، أَدَاءً لِحَقِّ صَاحِبِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيَحْتَرِزَ عَمَّا عَدَاهُ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي سَيِّدَهُ، وَمَعْرَفَةُ هَذَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الأَدَابِ الَّتِي رَبَّى اللَّهُ بِهَا أَشْرَفَ خَلْقِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِهَا هُوَ أَدَاءُ ذِي العُبُودِيَّةِ حَقَّ ذِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ.

(لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ)

فَإِنَّ قَدَرَ اللَّهِ لَا يَدْفَعُهُ هُمُومُ العَاجِزِينَ، وَلَا يَمْنَعُهُ عَنْ وُقُوعِهِ أَوْهَامُ القَاصِرِينَ، فَإِنَّ أَسْوَارَ الأَقْدَارِ لَا تَنْخَرِقُ بِخَيَالَاتِ ذَوِي الاضْطِرَارِ.

قَدْ ضَمِنَ تَعَالَى بِالرِّزْقِ القَوَامْ فِي الكِتَابِ المُنْزَلِ نُوراً لِلْأَنَامْ

(قَدْ ضَمِنَ تَعَالَى بِالرِّزْقِ القَوامْ) أَيْ: قَدْ ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى ـ الَّذِي تَخَلُّفُ وَعْدِهِ مُحَالٌ، وَوُجُودُ مَوْعُودِهِ وَاجِبٌ ـ بِالرِّزْقِ الَّذِي يَقَوِّمُ بِهِ بِنْيَةَ الخَلْقِ وَيَكْفِيهِ.

(فِي الكِتَابِ المُنْزَلِ) الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ شَارِعاً لِطَرِيقِهِ، وَمُعْجِزَةً عَلَى صِدْقِهِ، (نُوراً لِلْأَنَامْ) أَخْرَجَ بِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الكُفْرِ وَالشُّكُوكِ وَالظُّنُونِ وَالمَعَاصِي إِلَى نُورِ الإِيمَانِ

وَاليَقِينِ وَحُسْنِ الخُلُقِ وَالطَّاعَاتِ، هَدَى بِهِ قُلُوباً غُلْفاً وَأَسْمَاعاً صُمّاً وَأَعْيُناً عُمْياً، ضَمِنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[هود: ٦].

فَتَأَمَّلْ هَذَا الوَعْدَ الأَكِيدَ، هَلْ يُمْكِنُ تَخَلُّفُهُ عَمَّنْ لَا يَجُوزُ التَّخَلُّفُ فِي وَعْدِهِ أَبداً؟! كَمْ مِنْ آيَةٍ قُرْآنِيَّةٍ وَأَحَادِيث نَبوِيَّةٍ نَادَتْ بِضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى بِرِزْقِ خَلْقِهِ، وَقَدْ دَلَّ العَقْلُ عَلَى صِدْقِهَا لَوْ صَادَفَتْ أَسْمَاعاً سَامِعَةً وَقُلُوباً وَاعِيَةً.

عَجَباً لِلْعَبْدِ الجَهُولِ، لَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَنْ مِنْهُ صُدُورُ الفُرُوعِ وَالأُصُولِ، وَثِيقٌ بِوَعْدِ مَنْ لَا يَمْلِكُ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا الحِجَاب؟!

فَالرِّضَا فَرِيضَةٌ وَالسَّخَطُ حَرَامْ   وَالقَنُوعُ رَاحَةٌ وَالطَّمَعُ جُنُونْ

(فَالرِّضَا فَرِيضَةٌ وَالسَّخَطُ حَرَامْ) أَيْ: فَالرِّضَا بِكُلِّ مَا يَصْدُرُ مِنَ الحَكِيمِ ـ مِنْ حَيْثُ هُوَ صُنْعُهُ وَمَظْهَرُ حِكْمَتِهِ ـ لَازِمٌ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ.

وَالحَاصِلُ أَنَّ الرِّضَا بِالكَوَائِنِ لَازِمٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّ صُدُورَهَا مِنَ اللَّهِ الحَكِيمِ، ثُمَّ مِنْهَا مَا أَحَبَّهَا بَارِئُهَا فَيَجِبُ عَلَيْنَا حُبُّهَا اتِّبَاعاً لِحُبِّهِ إِيَّاهَا، وَمِنْهَا مَا كَرِهَهَا خَالِقُهَا فَيَلْزَمُ عَلَيْنَا كَرَاهَتُهَا وَبُغْضُهَا

لِأَجْلِ أَنَّهَا كَرِهَهَا رَبُّهَا، وَالحُبُّ لِـلَّهِ وَالبُغْضِ لِـلَّهِ مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيمَانِ.

وَحَقِّقِ الـمَرَامَ فِي هَذَا الـمَقَامِ، فَإِنَّهُ كَثِيراً مَا تَزْلِقُ فِيهِ الأَقْدَامُ، فَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَ وَقَسَمَ الحَكِيمُ العَلِيمُ فَرْضٌ، وَالسَّخَطُ بِهِ حَرَامٌ، وَأَنَّى لِلْعَبْدِ الحَقِيرِ أَنْ يَسْخَطَ بِقِسْمَةِ الحَكِيمِ الخَبِيرِ؟! وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مِنِ انْطِمَاسِ البَصِيرَةِ.

(وَالقُنُوعُ[1] رَاحَةٌ وَالطمَعُ جُنُونْ) أَيْ: القَنَاعَةُ بِمَا قَسَمَ الـمَوْلَى بِحِكْمَتِهِ فِي خِلْقَتِهِ رَاحَةٌ عَظِيمَةٌ عَنْ تَعَبِ الظُّنُونِ الفَاسِدَةِ، وَعَدَمُ القَنَاعَةِ بِهِ بَلِيَّةٌ وَنِقْمَةٌ، فَمَنْ عَلِمَ حَقَائِقَ الأَشْيَاءِ وَمَصْدَرَهَا وَمَرْجِعَهَا وَحُكْمَهَا فَهُوَ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَمَنْ لَـمْ يَعْلَمْهَا كَذَلِكَ وَسَعَى بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فِي تَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرَهُ السَّيِّدُ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنْهُ فَهُوَ فِي نِقْمَةٍ عَاجِلَةٍ؛ قَالَ الـلَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣ – ١٤].

(1) القُنُوعُ: هو الرِّضَا.

وَالطَّمَعُ فِي مَنْ لَا يَمْلِكُ ضَرَّ نَفْسِهِ وَلَا نَفْعَهَا ـ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ ـ جُنُونٌ وَخُرُوجٌ عَنْ قَانُونِ العَقْلِ؛ إِذِ العَاقِلُ: مَنْ يَعْقِلُ حَقَائِقَ الأُمُورِ وَمَصَادِرَهَا وَمَوَارِدَهَا، وَيَأْتِيهَا مِنْ أَبْوَابِهَا، وَالسَّفِيهُ: مَنْ يَجْهَلُهَا وَيَأْتِيهَا مِنْ ظُهُورِهَا.

تَأَمَّلْ يَا أَيُّهَا الأَعْشَى[1] هَذَا الَّذِي تَطْمَعُ فِيهِ هَلْ يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ أَوْ دَفْعِهِ بِدُونِ قُدْرَةِ القَادِرِ؟! كَلَّا وَحَاشَا.

ثُمَّ الـمَطْمُوعُ خَسِيسٌ تَتَنَفَّرُ طِبَاعُ ذَوِي العُقُولِ السَّلِيمَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ قَالَ العَارِفُ الأَكْبَرُ ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الـلَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافِراً شَرْبَةَ مَاءٍ**»[2]، أَوْ كَمَا قَالَ، فَتَعَقَّلْ إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ، وَلَا تَطْمَعْ فِيمَا فِي يَدِ العَاجِزِ مِنَ الأَمْتِعَةِ الفَانِيَةِ الـمَبْغُوضَةِ.

(لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ)

---

(1) الأعشى: هو ضعيف البصر.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ.

فَلَوِ اجْتَمَعَتِ الخَلَائِقُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَا يَنْفَعُونَكَ إِلَّا بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَا يَضُرُّونَكَ إِلَّا بِمَا قَدَّرَهُ، فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْهُمْ، وَآمِنْ خَوْفَهُمْ، وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

أَنْتَ وَالخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَبِيدْ وَالإِلَهُ فِينَا يَفْعَلُ مَا يُرِيدْ

(أَنْتَ وَالْخلَائِقْ كُلُّهُمْ عَبِيدْ) مُحْتَاجُونَ - فِي وُجُودِكُمْ وَبَقَائِكُمْ وَحُصُولِ مَصَالِحِكُمْ وَانْتِفَاءِ مَا يُؤْذِيكُمْ - إِلَى مَنْ أَوْجَدَكُمْ مِنَ العَدَمِ وَأَفَاضَ عَلَيْكُمْ فَوَاضِلَ النِّعَمِ وَعَصَمَكُمْ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النِّقَمِ، ليس لكم من الأمر شيء وإنما الأمر لله الواحد القهار.

(وَالإِلَهُ فِينَا يَفْعَلُ مَا يُرِيد) بِقُدْرَتِهِ البَاهِرَةِ، وَبِمَشِيئَتِهِ القَاهِرَةِ، وَبِحِكْمَتِهِ البَالِغَةِ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[الأنبياء: ٢٣]، وَأَنَّى لِلْعَبِيدِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَمْرٌ مَعَ المَلِكِ المَجِيدِ؟!

هَمُّكَ وَاغْتِمَامُكَ وَيْحَكَ لَا يُفِيدْ القَضَا تَقَدَّمَ فَاغْنَمِ السُّكُونْ

(هَمُّكَ وَاغْتِمَامُكَ) فِي تَحْصِيلِ مُرَادَاتِكَ (وَيْحَكَ لَا يُفِيدْ)؛ هَلْ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَقْلِبَ مُرَادَ رَبِّكَ فَتَفْعَلَ مَا لَـمْ يُرِدْهُ أَوْ تَدْفَعَ مَا أَرَادَهُ؟! كَلَّا! فَلِمَ تُضَيِّعُ عُمُرَكَ فِي الـهُمُومِ الَّتِي لَا تُفِيدُ، وَتُعَارِضُ مَنْ لَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ؟!

تَأَمَّلْ قُبْحَ حَالِكَ وَسُوءَ فِعَالِكَ إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ، بَلِ اللَّازِمُ عَلَيْكَ أَنْ تُقَابِلَ أَمْرَ سَيِّدِكَ بِالرِّضَا وَالقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ لِلرَّبِّ الحَكِيمِ.

(القَضَا) بِالكَوْنَيْنِ (تَقَدَّمَ) فِي الأَزَلِ، فَإِنَّ الحَكِيمَ العَلِيمَ قَدْ عَلِمَ وُجُودَ مَا يُوجَدُ وَعَدَمَ مَا يَكُونُ بَاقِياً فِي عَدَمِهِ، وَقَدَّرَ لِكُلٍّ قَدَراً لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ.

(فَاغْنَمِ السُّكُونَ) لِأَمْرِ الرَّبِّ الحَكِيمِ، فَإِنَّ السُّكُونَ لِأَمْرِهِ وَالتَّسْلِيمَ لَهُ سَبَبُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَالاضْطِرَابَ وَالتَّحَرُّكَ فِي أَوْدِيَةِ الظُّنُونِ عَلَامَةُ البُعْدِ وَالطَّرْدِ، فَالرَّبُّ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، سَوَاءٌ تُرِيدُ ذَلِكَ أَوْ لَا تُرِيدُ.

(لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ)

الَّـــذِي لِغَـــيْرِكَ لَا يَـــصِلُ إِلَيَـــكْ　　وَالَّذِي قُسِمَ لَـكْ حَاصِـلٌ لَـدَيكْ

(الَّذِي لَغيْرِكَ) فِي عِلْمِ الـلَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ (لَا يَصِلُ إِلَيكَ) لِأَنَّ عِلْمَ الـلَّهِ لَا يَنْقَلِبُ جَهْلًا، وَتَقْدِيرَهُ لَا يُرَدُّ، فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَمَّا لَيْسَ لَكَ، وَلَا تَحْسِدْ أَحَداً مِنْ خَلْقِ الـلَّهِ عَلَى مَا أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ بِحِكْمَتِهِ البَالِغَةِ، فَإِنَّ لَازِمَ الحَسَدِ الاعْتِرَاضُ عَلَى الـلَّهِ تَعَالَى فِي قِسْمَتِهِ فِي خِلْقَتِهِ بِحِكْمَتِهِ، وَذَلِكَ جُرْمٌ جَسِيمٌ.

(وَالَّذِي قُسِمَ لَكَ) فِي عِلْمِ الـلَّهِ وَقَضَائِهِ (حَاصِلٌ لَدَيْكَ) لَا مَحَالَةَ لِأَنَّ مَا عَلِمَ الـلَّهُ وُجُودَهُ فَوُجُودُهُ وَاجِبٌ وَعَدَمُهُ مُحَالٌ، وَمَا لَا يَعْلَمُ وُجُودَهُ فَوُجُودُهُ مُحَالٌ، فَاطْلُبْ ذَلِكَ الـمَقْسُومَ مِنْ مَوْلَاكَ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أَمَرَكَ أَنْ تَطْلُبَهُ مِنْهُ.

فَاشْـــتَغِلْ بِرَبِّـــكَ وَالَّـــذِي عَلَيـــكْ   فِي فَرْضِ الـحَقِيقَةِ وَالـشَّرْعِ المَـصُونْ

(فَاشْتَغِلْ بِرَبِّكَ) بِعِبَادَتِهِ وَلُزُومِ بَابِهِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ؛ قَالَ الـلَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

(وَالَّذِي عَلَيكَ) مِنْ إِتْيَانِ مَا يُقَرِّبُكَ إِلَيْهِ وَاجْتِنَابِ مَا يُبَعِّدُكَ عَنْهُ (فِي فَرْضِ الـحَقِيقَةِ وَالشَّرْعِ الـمَصُونِ) أَيْ: الـمَحْفُوظِ مِنَ الخَلَلِ.

وَالشَّرِيعَةُ: مَعْرِفَةُ آدَابِ العُبُودِيَّةِ لِذِي الرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا شَرَحَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَالطَّرِيقَةُ: سُلُوكُهَا عَلَى الوَجْهِ الَّذِي سَلَكَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَالحَقِيقَةُ: مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ، وَوَضْعُ كُلٍّ مَوْضِعَهُ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ.

وَالـمَعْرِفَةُ: عِرْفَانُ ذَاتِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي بَيَّنَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَكُلٌّ يَدَّعِي حُصُولَ الطَّرِيقِ، وَالشَّأْنُ فِيمَنْ يُوَفَّقُ لِسُلُوكِهِ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِ الـلَّهِ ﷺ، وَالـلَّهُ الـمُوَفِّقُ.

(لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ)

شَرْعِ الـمُـصَطَفَى الـهَادِي البَـشِيرْ   خَـتْمِ الأَنْبِيَـا البَـدْرِ الـمُنِيرْ

(شَرْعِ الـمْصَطَفَى) عَلَى البَرَايَا بِأَجَلِّ الـمَزَايَا (الـهَادِي) إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مُوصِلٍ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ، (البَشِيرِ) لِـمَنْ قَبِلَ هُدَاهُ، وَالنَّذِيرِ لِـمَنْ عَادَاهُ.

(خَتْمِ الأَنْبِيَا) الجَامِعِ لِكَمَالَاتِهِمْ الـمُتَفَرِّقَةِ وَفَضَائِلِهِمْ الـمُتَبَدِّدَةِ[1]، **(البَدْرِ الـمُنِيرِ)** الَّذِي أَذْهَبَ الـلَّهُ بِهِ ظُلُمَاتِ السَّيِّئَاتِ وَأَظْهَرَ بِهِ نُورَ الطَّاعَاتِ.

صَــــلَّى عَلَيْــــهِ الــــرَّبُّ القَــــدِيرْ   مَـارِيحُ الـصَّبَا مَالَـتْ بِالغُـصُونْ

(صَلَّى عَلَيْهِ) صَلَاةً لَائِقَةً بِقَدْرِهِ العَالِي **(الرَّبُّ القَدِيرُ)** عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

(مَا رِيحُ الصَّبَا مَالَتْ بِالغُصُونِ) كِنَايَةٌ عَنْ دَوَامِ صَلَوَاتِ رَبِّ الـمَوْجُودَاتِ عَلَى سَيِّدِ الكَائِنَاتِ، صَلَّى الـلَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ.

(لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ)

---

(1) قال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «معالم اصول الدين» في بيان أفضلية نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء: إِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الأَنْبِيَاءَ بِالأَوْصَافِ الحَمِيدَةِ، ثُمَّ قَالَ لِـمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]، أَمَرَهُ أَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ بِأَسْرِهِمْ، فَيَكُونُ إِتْيَانُهُ بِمَا أَتَوْا بِهِ وَاجِباً؛ وَإِلاَّ يَكُونُ تَارِكاً لِلْأَمْرِ، وَتَارِكُ الأَمْرِ عَاصٍ، وَقَدْ بَيَّـنَّا أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِذَا أَتَى بِجَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الخِصَالِ الحَمِيدَةِ، فَقَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ مَا كَانَ مُتَفَرِّقاً فِيهِمْ، فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْهُمْ.

وَفِي هَذَا الخَتْمِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ لُزُومَ بَابِ الـمَوْلَى فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِرِكَابِ الـمُصْطَفَى الَّذِي هُوَ وَسِيلَةُ الـلَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِـمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى حَبِيبِكَ الـمُرْتَضَى ﷺ.

مُؤَلِّفُ هَذِهِ الحُرُوفِ: مُحَمَّدٌ حَيَوة السِّنْدِي ثُمَّ الـمَدَنِي، كَانَ الـلَّهُ لَهُ فِي كُلِّ حِينٍ وَآنٍ، وَقَعَ الفَرَاغُ مِنْ كِتَابَتِهِ يَوْمَ الأَحَدِ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ 1159هـ.